جول فيرن

الحلقة الأولى

" إذا كانت العملقة أنواعاً وفصائل فان من الطبيعي جداً ألا تكون وقفاً على رجال السياسة والفاتحين العسكريين . ذلك أن العملقة في بواعثها العميقة حصيلة شيئين : الخيال الغني والإرادة الصلبة . وإذا كنا قد تحدثنا في مقالات سابقة عن رجل حرب وفتوح ورجل سياسة فان من الممكن أن نتحدث اليوم عن رجل امتزجت في عقله وقلبه خيالات غنية جداً وعزيمة لا تتردد أمام العراقيل . هذا الرجل هو الكاتب الفرنسي المبدع جول فيرن . " .

****

ولكن من هو جول فيرن ؟ وما هو الدور الذي قام به ؟ ثم ما هو الانجاز الذي صدر عنه ؟

ثمانون لغة

في وسعنا أن نلقي السؤال التالي : من هو المؤلف الأوسع شهرة في تاريخ الأدب الفرنسي الذي نقل نتاجه الأدبي والفكري إلى ثمانين لغة من لغات العالم ؟ أن احداً من الناس لا يعجب أبداً اذا قيل : أن هذا المؤلف هو جول فيرن . ذلك أن الملايين من قرائه ينتمون إلى كل البلاد والأجيال والأعمار والطبقات الاجتماعية . شبان وشيوخ ، أناس من القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، علماء أو أدباء ، مثقفون ومن العامة ... قليلون جدا هم الذين لم يقرأوا كتباً أو فصولاً من مؤلفاته أو لم يشهدوا بعض ما نفذ منها في ميدان المسرح أو السينما .

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا: info@RamadanLawand.com

انتاجه العبقري يتحدث الزمان ، وغزارته تغجز هواة الاحصاء . والذين كتبوا ترجمة حياته استطاعوا أن يحصوا له مائتي كتاب تضاف إليها قصص ومسرحيات وحتى " جغرافيا مصورة لفرنسا ومستعمراتها . والمتابع لانتاجه يشعر بدهشة غامرة كما يشعر أمام غيره من كبار الكتاب الفرنسيين خلال القرن التاسع عشر من أمثال هوغو ودوما الأب وبلزاك ثم زولا . وولتر سكوت ، ديكنزوا أخيراً تولستوي ممن يتفاوتون في عبقريتهم ولكنهم يتماثلون في خيالاتهم وفي قدرتهم على العمل.

ومما يقارب بين هؤلاء الرجال مهارتهم في خلق الشخصيات المتعددة ، وهي شخصيات يتمثل فيها من الحيوية ما يجاوز الصفحات التي حاول الكاتب أن يصورها بها بحيث تحتفظ بقدرتها على البقاء والخلود بأكثر مما يحظى به المؤلف الذي أبدعها . ولعلنا نعرف قصة شيرلوك هولمز الذي اضطر كونان دويل أن يبعثه حيا بعد أن قصد إلى امانته وكذلك الانجليزي الخفي الذي جاء يحيي المؤلف في موكب جنازته عام ١٩٠٥ والذي عرف فيه أكثر المشيعين للجنازة شخصية فيلياس فوغ .

أننا لا نبالغ إذا قلنا : ان جول فيرن قد دخل عالم الاسطورة وهو لا يزال حيا يرزق . ولكن وراء هذه الاسطورة ، أو لنقل وراء ذلك العديد من المجلدات الحمراء والذهبية ، ما هو الانسان الذي يختبيء فيها ؟

حياة جول فيرن

ويسأل جول فيرن عن تاريخ حياته فيقول : ولدت في مدينة نانت من فرنسا في الثامن من شباط" فبراير " عام ١٩٢٨، في بيت من حي جميل قديم في جزيرة فيدو ، وقد الحقت اليوم بالبر الأوروبي.

أما أبي فقد كان يمارس مهنى محلف لدى محكمة نانت . لكن المرفأ لم يكن بعيدا عني كما أن صواري المراكب البحرية كانت مرئية من كل زاوية من زوايا الشارع . والواقع أنني منذ صباي كنت أشعر بالانبهار أمام مياه البحر الممتدة حتى الأفق . وقد رافقني هذا الشعور عبر مرحلة طويلة من حياتي بل في وسعي القول أنه بقي ملازما لي حتى الموت.

ويتابع جول فيرن قائلا:

" كنت بكر خمسة أطفال . وقد تعاقب بعدي كل من أخي بول واخواتي الثلاث أنّا ماتيلد وفاري . والجدير بالذكر أن أذواقنا نحن الأخوين كانت متشابهة كما كانت علاقة أحدنا بالآخر وثيقة جداً . ومع ذلك فقد تباين مصيرانا . أما أنا فقد وافقت على متابعة دراسة الحقوق تبعا لرغبة أبي بينما استجاب أخي بول لرغبته في ركوب متن البحار فعمل بحاراً في السفن التجارية وراح يجوب المعالم كله . وبعد ثماني سنوات اضطر أخي بول للتوقف عن الترحل في مياه البحار ليعمل في ميدان الصرافة بينما جاء دوري للتطواف في بحار العالم .

****

وهنا نسأل المؤلف جول عن السبب الذي دفعه إلى خوض مياه البحار فيقول : ربما كان السبب عائداً إلى فترة الصبا الأولى وأنا في الحادية عشر من العمر وكنت أهوى علم الجغرافيا . وهذا أمر لايدعو إلى الدهشة أبدا . ففي يوم من الأيام اختفيت من المنزل وظنت والدتي أنني مت غرقا في البحر. ثم علمت أسرتي أن أحدهم رآني أسير بين بحارين توجهت معهما إلى مركب بحري يدعى كوراني . وهو مركب كبير كان يقوم بالرحلة نحو بلاد الهند . ورفع المركب مرساته وقد كانت آخر محطة له عند مصب نهر لوار، لكن والدي بيار فيرن لم يلبث حتى لحق بهذا المركب فوق سفينة سريعة فوصل في الوقت المناسب وعاد بي إلى المنزل . وطبيعي أن أتلقى بعد ذلك " علقة " ساخنة لم أنسها حياتي كلها. وفي ذلك اليوم أقسمت أمام والدتي أنني لن أعود إلى الهرب أبدا : " ثم لم أعد أسافر الا في الحلم".

ومع ذلك فأن المعاصرين ممن أرخوا لحياة جول فيرن يشككون في صحة هذه الرواية ويقولون : " إنها من الجمال والبراعة بحيث لا يمكن أن تكون صحيحة ".

****

مرحلة التعليم

<u>أربعة عشر عاماً من البؤس</u>

يقول جول فيرن : لقد عرفت في منزلي الأبوي في مدينة نانت كل أنواع الهناءة والرفاه في فترة المراهقة . وقد بدات براعمي الفنية تزهر شيئاً فشيئاً في ميدان الشعر . كنت أنظم القصائد الطويلة وأوجها إلى ابنة عم لي تبادلني حبا بحب.

لكنني في تلك الفترة لم أبلغ من العمر ما يؤهلني للزواج فقد كان علي متابعة دراستي في الحقوق قبل كل شيء . ولذلك انتقلت إلى باريس – وأقمت في منزل صغير من شارع " أنسيان – كوميدي ". الحياة فيه متواضعة والمال غير متوفر الا في حدود الضرورة القصوى . لكن باريس بهرتني فبذلت أقصى ما أملك من الجهد للإستمتاع بأضوائها ثم لم ألبث أن غادرتها بعد ذلك غير آسف عليها .

****

نحن الآن في عام ١٨٤٨م وكان جول فيرن في عامه العشرين وقد حفلت نفسه بقدر كبير من الحيوية والشجاعة. كان عليه بعد ذلك أن يواجه سنوات من الفقر والمرارة لم تنته إلا بعد تحقق أول نجاح أدبي له ... أي بعد أربعة عشر عاماً .

والواقع أن صفة " فقير " لجول فيرن في تلك الفترة ليست كافية ... لقد عثر المتابعون لحياته الأدبية على رسائل كان يوجهها إلى ذوي قرابته يتبيه منها أنه كان يلبس في بعض الأوقات قمصانا لم يبق منها غير جزئها الأعلى . وكان مما ذكره قوله : " لست أدري لماذا أكرم ما ألبسه باطلاق اسم قميص عليه فالحقيقة أنه قبة مزورة ".

أما صحته فلم تكن على ما يرام . فهو لم يكن يأكل حتى الشبع ، أما دراسته في كلية الحقوق فقد كانت تثير في نفسه الضجر الشديد حتى الموت . ومع ذلك فقد كان يعتبر نفسه أسعد الناس . هل لأنه كان عاشقاً؟ طبعا ...لا . السبب هو أنه كان مأخوذا بشيطان الادب . في البداية كانت القراءة هي هوايته الأولى قال : " لم يكن في وسعي الاستغناء عن الكتاب . كنت أحس في جسدي بتقلصات شديدة حين أجدني أمام تاجر كتب . ثم نمت في نفسه رغبة شديدة في الكتابة . ولا عجب في ذلك فقد عزم على الانصراف إلى الأدب بكليته وعلى أن يكسب رزقه من هذه المهنة .

****

ومع ذلك فإنه لم يعثر على طريقه الذي خلق له . ذلك أن المسرح هو الذي شده إليه . ولذلك مارس الكتابة في كل أنواعه ، في جده وهزله ، وفي نثره وشعره دون أن يحقق النجاح المطلوب. والثابت أن اكثر اعماله المسرحية بقيت حبيسة جاروره باستثناء القليل جدا منها .

وهكذا اضطر الشاب جول فيرن للعمل كسكرتير خاص لمدير المسرح الغنائي تامينا للحد الأدنى من الرزق . وهذا قليل بالطبع لكنه استطاع به أن يتجنب وظيفة " محلف " التي كان أبوه يعده للعمل بها منذ البداية .

وتتابعت الأعوام وتتابع معها عري جول فيرن حتى أنه لم يواجه بعد ثماني سنوات من حياته الباريسية غير الاحباط والخيبة . وفي شهر مايو من عام ١٨٥٦ م . توجه إلى مدينة اميان لحضور حفل زفاف صديق له . لكنه لم يكد يصل إليها حتى تبين له أنها المدينة التي يحلم بالعيش فيها . وهكذا أمضى عشرين سنة من حياته في ربوعها ..

كانت عروس صديقه تدعى ايميه دوفيان . وكانت لها شقيقة تدعى أونورين ، ارملا في عامها السابع والعشرين واما لابنتين ، كانت شابة ذات جمال مقبول ، حافلة بالحيوية ، متميزة بالذكاء ، لم يستطع ترملها غير البعيد أن يفقدها روح المرح عندها ، كما أن صراحتها في الحديث حببتها إلى قلب جول فيرن. وهكذا تزوجا بعد ذلك بعدة أشهر في باريس . في كانون الثاني " يناير " من عام ١٨٥٧ م .

وفي موازاة هذا الواقع الجديد قرر جول فيرن أنيمارس مهنة " جدية " فالحق بالبورصة فأصبح صرافا بمساعدة مالية من قبل أبيه . لكنه لرغم ذلك لم ينصرف عن الأدب . فهو ينهض مبكرا صباح كل يوم ويقضي ساعات في الكتابة قبل أن ينصرف إلى مكتبه من البورصة .

****

في عام ١٨٥٩ قام جول باول رحلة كبيرة له . ذلك أن احد أصدقائه من مدينة نانت قدم إليه تذكرة سفر بحري من مدينة نانت إلى ايقوسيا . فكانت تجربة خصبة قرر القيام بها عام ١٨٦١ م . متوجها نحو النرويج والدانمرك . وكانت عودته منها في شهر آب " أغسطس " فلم يتح له أن يشهد ولادة ابنه ميشال التي حدثت قبل ذلك بأيام قليلة .

وهنا في وسعنا أن نتصور قلة احتفاله بحياته الأسرية حين يخلف وراءه زوجته الحامل في شهر حملها الأخير . والواقع أن زواجه لم يكن فاشلا ، لكنه لم يكد يتزوج حتى شعر بفداحة ما نزل به من فقدانه لحريته . وهكذا كان زوجاً غير موفق وأبا يفتقد احساسه بالمسؤولية الأبوية .

والثابت أن ابنه الوحيد ميشال كان طفلا عصبياً ، صعباً وذا حساسية مرضية . ولذلك لم يعد جول فيرن يفكر إلا بالابتعاد عن هذا الطفل ، والعيش في نزل منفصل مما زاد في انحراف المزاج عند طفله بدلا من أن يعيد السكينة إليه . هذا الجانب من حياته سبب له فيما بعد ألوانا من الرهق قبل أن يعود إليه هدوء نفسه.

****

وإذا كانت حياة جول الخاصة مصدرا للمرارة ، فانه لم يلبث عام ١٨٦٢ م . أن حقق لقاء حاسماً وجهه الوجهة الطيبة ككاتب أديب ناجح .

كان صديقه المصور المشهور في عالم الفضاء ، نادار ، قد وضع تصميماً لبالون يبلغ حجمه ٦٠٠٠ متر مكعب، قادر على حمل المسافرين فيه حتى أفريقيا وقد أطلق عليه اسم " العملاق " وقبل القيام بانجاز تجربة الطيران بهذا الجهاز الجديد ، تخيل جول فيرن كل الاحتمالات التي قد تترتب علىهذه الرحلة وكتب رواية سماها " رحلة في الفضاء".

وحمل جول مخطوطته إلى الناشر بيير – جول هيتزل . هذا الألزاسي الذي كان عام ١٨٤٨ م مديراً لمكتب الشاعر الفرنسي المعروف لامرتين ، والذي كان قد نفى نفسه بعد انقلاب كانون الأول " ديسمبر " عام ١٨٥٢م . لكنه ، خلافاً لما فعله فيكتور هوغو، عاد إلى فرنسا ابتداء من عام ١٨٥٩م . وكان هيتزل قد أسس دارا للنشر أخرج بها نتاج أعظم كتاب القرن الذي كانوا أصدقاء له . لكن فيرن كان كاتبة الأكثر شهرة ، ومن بعيد . واذا كان هيتزل قد منح فيرن فرصته الذهبية للاشتهار ، فقد ردها فيرن إليه ، يضاعفه مائة مرة . كان الكل من الرجلين تميمة حظ للآخر . وبقي أسماهما مشتركين حتى النهاية.

****

أسطورة أخرى ارادت أن يحمل فيرن مخطوطته ، إلى هيتزل ، الذي جرت عادته أن يستقبل زواره وهو في سريره ، ويروي أن هيتزل الذي كان لا يزال ملازما سريره قد استقبل مؤلفه الجديد مرة أخرى بعد ١٥ يوماً ليخبره أن مخطوطته

قد رفضت ، لكنها يمكن أن تقبل اذا وافق على اعادة كتابتها واجراء تعديلات على فصولها وربط بعضهما ببعض بحيث تصبح رواية حقيقية ، وهكذا يمكن أن يصبح فيرن مؤلفا روائيا عظيما كما كان يقدر هيتزل نفسه.

العمل ؟ وهل كان فيرن يطلب شيئا غير ذلك ؟ وهكذا حمل روايته إلى هيتزل معدلة منقحة بعد أسبوعين آخرين . ونشرت الرواية في يناير من عام ١٨٦٣ م . تحت عنوان " خمسة أسابيع في منطاد " فحققت اعظم نجاح في سوق الكتاب . ثم لم يجاوزها في سعة الانتشار من رواياته اللاحقة غير روايته " جولة حول العالم في ثمانين يوماً ".

****

وفي العام نفسه كان نادرا الذي سماه جول فيرن باسم " أردان " في روايته قد استطاع أن ينجز صنع منطاده الذي اطلق عليه اسم " العملاق " لكن الواقع أن جول فيرن في روايته قد جاوز بخياله ما حققه صديقه نادار.

والواقع أن المنطاد الذي صمم للقيام بالرحلة الى افريقيا لم يجاوز مدينة مو . مع العلم أن نادار قد اصطحب معه في منطاده رجلا أسود اللون ليكون ترجمانا له في القارة السوداء .

هكذا وجد جول فيرن طريقه ، فاستقال من عمله في البورصة وقرر الانصراف إلى الكتابة والتفرغ نهائيا لها . وهو قرار لم يكن اثكر منه حكمة وسدادا.

ثم لم ينته عام ١٨٦٣م . حتى كان جول فيرن قد حمل مخطوطته الثانية إلى صديقه هيتزل تحت عنوان " مغامرات الكابتن هاتارا أو الانكليز في القطب الشمالي " . وفي الوقت نفسه كان هيتزل الذي يهتم بالشباب اهتماما خاصا فقد أصدر مجلة بعنوان " المجلة المصورة للتربية والإبداع " نشرت فيها كتابات جول فيرن تباعا قبل أن تصدر في كتاب . وهذا قرار حكيم من الناحية التجارية . وفي الوقت نفسه ساعد على منح جول فيرن طابع " كاتب الأطفال " وهو ما لم يمثل الواقع تمام التمثيل . ولعل هذا هو الذي لم يدفع فيرن إلى ترشيح نفسه لعضوية الاكاديمية الفرنسية ، كما لم تحاول الأكاديمية بدورها أن تجتذبه إليها.

عمالقة في التاريخ

جول فيرن

الحلقة الثانية

" في حلقتنا السابقة تحدثنا عن بدايات جول فيرن ، الروائي الفرنسي الذي ترجمت مؤلفاته إلى كل لغات العالم تقريباً . وتبين لنا أنه رغم ما حققه من إنجازات ضخمة بفضل مخيلته الغنية وثقافته الواسعة لم يفكر في الالتحاق بعضوية الأكاديمية الفرنسية كما أن الأكاديمية نفسها لم تبادر إلى اجتذابه بأي شكل من الأشكال".

****

لكن عدم التحاقه بعضوية مؤسسة الخالدين ، كما يقول الفرنسيون ، لا يعني أنه لم يكن جديراً بهذه العضوية . فالحق أن له من خلود كتاباته وما تتمتع به من الطرافة واستباق الأحداث والانجازات اللاحقة ، ما يغنيه عن هذه العضوية وما يعلو به عن المستوى الذي ارتفع إليه كثير من الخالدين بصورة رسمية.

رحلة بحرية على ظهر " مدن عائمة "

والجدير بالذكر أن السنوات الأخيرة من الامبراطورية الثانية قد شهدت بعض أعظم أعمال جول فيرن . بين أكثر هذه الأعمال جرأة واقتحاماً لمجاهيل المستقبل نورد عناوين الأعمال التالية :

١ – رحلة نحو مركز الأرض ١٨٦٤ م .

٢ – أطفال الكابتن غرانت ١٨٦٥ م .

٣ – من الأرض إلى القمر ١٨٦٥م.

٤ – عشرون ألف ميل تحت مياه البحار ١٨٦٨م ز

٥ – حول القمر ١٨٦٩ م .

والجدير بالذكر أن جول فيرن والناشر هيتزل قد ترابطا بصورة نهائية منذ اليوم الذي تم فيه نشر رواية : أطفال الكابتن غرانت . لقد وقع الكاتب فيرن على عقد يتعهد فيه بتقديم ثلاثة مجلدات سنوياً في مدة ستة أعوام لصديقه الناشر الذي تصرف فيما بعد كناشر أمين لكنه في بعض الأوقات كان يتدخل لاجراء تعديلات على ما يقدم إليه . من ذلك أن فيرن فكر بادىء الأمر بأن يجعل من شخصيته الكابتن نيمو بولونيا أباد الروس كل أفراد أسرته . هنا تدخل هيتزل لأسباب سياسية فطلب إلى كاتبه الاقلاع عن هذه الفكرة . وهكذا أصبح نيمو شخصية هندوكية بقي حياً دون سواه بعد القضاء على ثورة " السيباي " . ويبدو في الظاهر أن هيتزل كان يهتم للحساسية الروسية أكثر مما يهتم لحساسية البريطانيين .

****

أصبح جول فيرن في نجدة من الهموم المادية . بل أصبح قادراً على الاستمتاع بفرص لم تكن متيسرة له من قبل . ففي وسعه مثلا اشباع رغبته العارمة في تنظيم رحلات بحرية . فكانت متعته الوحيدة متمثلة في شراء ثلاثة " يختات " يحمل كل منها اسم " القديس ميشال " والمقصود بهذا الاسم تكريم غير مباشر لابن لم يكن رغم ذلك يعتبره قديسا أبدا .

أما القديس ميشال " الأول فقد كان مركبا شراعياً ذا حجم متواضع بني في منطقة " كروتوا " قرب مدينة اميان وبفضله نظم رحلات بحرية قريبة من سواحل بحر المانش . وفي مقابل ذلك قام جول فيرن عام ١٨٦٧ م . برحلة بحرية باتجاه الولايات المتحدة يرافقه اخوه بول ثم تابع طريقه نحو شلالات نياغارا انطلاقا من نيويورك لكن أعظم ما أدهش كاتبنا فيرن هو الرحلة التي قام بها على متن الباخرة الأسطورية " غريت ايسترن " التي اعتبرت أول باخرة عملاقة في السلسلة التالية للبواخر التي اخذت تجتاز مياه المحيطات من بعد . وقد عاد من هذه الرحلة متأبطا مسودة رواية نشرت عام ١٨٦٩ م تحت عنوان : " مدينة عائمة ".

****

هذا وقد فاجأته حرب عام ١٨٧٠ م في "كروتوا " حيث يقضي أكثر أوقاته . ومع ذلك فقد بقي بعيدا في اهتماماته عما يجري في العالم الخارجي واستمر يعمل داخل عالمه بكل ما أوتي من صبر وعزم . والجدير بالذكر أن المنزل الذي كان قد أستأجره في اميان لتقيم فيه اسرته قد احتله البروسيون لكن كل شيء مضى بهدوء في حدود الامكان فلم يتعرض لأي حادث يفسد عليه عزلته.

وانتهت الحرب وسحق الكومون ، وعاد جول فيرن إلى باريس فاتصل بصديقه الناشر " هيتزل " فوقع معه عقداً جديداً متعهداً فيه بتقديم مجلدين فقط في كل عام مقابل دخل سنوي قدره عشرة الآف فرنكا ذهبياً . وقد ارتبط مع الناشر لمدة ثلاث سنوات اضافية.

والواقع أنه قد استأنف انتاجه عام ١٨٧٢ م بكتاب كان له وقع الصاعقة : انه كتاب " جولة حول العالم في ثمانين يوما " هذا الكتاب كان في الحقيقة انتاجه الأكثر شعبية ورواجا في تاريخ حياته. فقد سجل رقما قياسياً في مبيعاته . بيعت من طبعته الأولى غير المصورة مائة ألف نسخة . وهذا رقم كبير جدا في ذلك العصر .

ففي زمن لم تكن فيه سينما ولا تلفزيون لم يكن غير المسرح ميدانا لتحقيق النجاح الكبير للمكتبة. والواقع أن الجمهور كان شديد الفهم ولا سيما حين تظهر على خشبة المسرح مشاهد كبيرة متعددة الأشكال والأبعاد . وهذا يعني ان الاخراج المسرحي لكتاب " جولة حول العالم في ثمانين يوماً " كان نصراً كبيراً فمن عساه يصمد أمام الرغبة في رؤية قاطرات بل فيلة حقيقية تتحرك أمامه.

من أجل هذا النشاط المسرحي اقدم جول فيرن الذي يدرك بأن المسرح ليس هو ميدانه الحقيقي على التعاون مع أدولف دينيري المسرحي والروائي الذي نسي الآن بمقدار ما كان مشهوراً في ذلك الوقت والذي ذرف جيل كامل دموعه وهو يتابع مسرحيته " اليتيمان " وقد كرر الشريكان اخراج المشاهد الكبيرة ولا سيما الخاصة برواية " اطفال الكابتن غرانت " عام ١٨٧٨ م ورواية ميشال ستروغوف عام ١٨٨٠م .

أهو رحالة حلم؟

<u>ليس هذا فقط</u>

وفي موازاة هذا النشاط بقي جول فيرن يكتب لناشره هيتزل بانتظام بالغ الدقة . فأنتج بعد " جولة في العالم " رواية :

١ – الجزيرة السرية : ١٨٧٣ م .

٢ – ميشال ستروغوف : ١٨٧٥ م .

٣ – بلاد الهند السوداء : ١٨٧٦ م .

٤ –كابتن في عامه الخامس عشر : ١٨٧٧ م .

٥ – محنة صيني في الصين : ١٨٧٨ م .

٦ – ٥٠٠ مليون للبيجوم : ١٨٧٩ م .

٧ – بيت النجار : ١٨٧٩ م .

٨ – الجانغادا : ١٨٨٠ م .

٩ – الشعاع الأخضر : ١٨٨١ م .

١٠ –كيرابان العنيد : ١٨٨٢ م .

١١– ماتياس ساندورف : ١٨٨٣ م .

١٢– روبور الفاتح : ١٨٨٥ م .

هذه مؤلفات أوردناها لشهرتها الكبيرة وحسب .

****

ولما كان جول فيرن قد أصبح أكثر غني فقد حصل على يخت آخر " القديس ميشال " الثاني ، لم يلبث من بعد أن قايضه باليخت الثالث " القديس ميشال " الثالث . والجدير بالذكر أن اليخت الأخير كان مركبا جميلا جدا يبلغ

طوله ثلاثين مترا زين داخله بأجمل الزينات وغلف الصالون فيه بألواح من خشب الأكاجو وينطلق بقوة البخار . في وسعه الابحار في المياه العميقة والقيام بجولات بعيدة طويلة.

على أن جول فيرن لم يحرم نفسه من متعة الرحلات الكبيرة . وفي عام ١٨٧٨ م ، توجه نحو جبل طارق والجزائر وفي عام ١٨٧٩ م نحو ايقوسيا وفي عام ١٨٨٠ م نحو النرويج وايرلندا ، وفي عام ١٨٨١ م نحو بحر البلطيق . أما في عام ١٨٨٤ م فقد قام بجولة طويلة في البحر الأبيض المتوسط . وكان في كل مكان يستقبل باعتباره من مشاهير الرجال . فقد استقبله الباي في تونس والبابا ليون الثالث عشر في روما.

هذه الأعوام كانت أيضا أعواما سعيدة نسبياً ، أفسدتها شيئاً ما علاقاته مع ابنه ميشال التي بقيت صعبة . وهكذا أقدم جول فيرن على استخدام الطريقة الصعبة ، فتم اقتياده بين دركيين نحو مركب بحري متجه نحو بلاد الهند ، على أمل أن تحسن من وضعه وسلوكه رحلة بحرية تستمر ثمانية عشر شهراً . أن هذه الحماسة لبلاد الهند التي حلم بها الكاتب لم تلبث حتى تحولت إلى منفى اجباري لابنه ميشال.

ومما يثير الفضول ، أن فيرن نشر في العام نفسه روايته : " كابتن في عامه الخامس عشر " يتخيل فيها ، كما يقال اليوم ، فتى جذابا وشجاعاً يحلم بأن يكون له مثله .

وبمرور الأعوام حدث التقارب المنشود بين الابن وابنه فتبادلا التقدير والاحترام بل الحب أيضا. وهكذا جاء ميشال من بعد ليعيش مع أبيه ، وعمل معه كسكرتير ثم أصبح بعد وفاته الحارس الأمين على ذكراه.

****

وجاء العام ١٨٨٦ م . فكان عاماً صعباً بالنسبة لجول فيرن تراكمت فيه المحن . ففي آذار " مارس " من ذلك العام تعرض في اميان لعدوان لا تفسير له . فقد أقدم الفتى غاستون ابن اخيه بول الذي تربطه به أحسن الروابط على اطلاق النار عليه . فلم يصب جول فيرن غلا في قدمه بقي حياته كلها يعرج بسبب ذلك. فماذا حدث ؟ ولماذا كان هذا العدوان ؟ لقد أصيب الفتى بأزمة جنون وادخل إلى معزل للمرضى العقليين.

وبعد أيام قليلة توفي صديقه الناشر " هيتزل " ثم في بداية العام التالي توفيت والدته.

والجدير بالذكر أن فيرن غلبت عليه السوداء منذ تلك الفترة وساءت حالته الصحية . لم يعد جول خلال السنوات الأخيرة قادراً على احتمال باريس وراح يقضي أكثر أيامه بين اميان والكروتوا ونانت مسقط رأسه التي كان مرفأها البحري مرسى ليخته " القديس ميشال " الثالث.

وابتداء من عام ١٨٨٦ م قرر الاقامة نهائياً في اميان ، بل يمكن القول أنه جعلها معزلا له تقريباً . فباع يخته ، ولم يعد راغبا في السفر ، وانصرف بكليته إلى الكتابة . لقد بنى لنفسه فوق مصطبة السلم في بيته نوعاً من منظره حبس نفسه فيها للكتابة . ومن هنا مصدر الاسطورة التي تقول : أن جول فيرن لم يعد يستعين في كتاباته الا بمخيلته وأنه لم يغادر أميان بعد ذلك أبداً . وهي أسطورة شديدة المبالغة : صحيح أن الكاتب لم يعد من هواة السفر غير العادي لكنه مع ذلك لم يكف عن التنقل . والصحيح أيضاً أنه كان من هواة الرحلات في البحر وأنه لم يتجول بعيداً فوق اليابسة.

****

الأعوام العشرون الباقية من حياته كانت بالغة الخصوبة وان كان عصره الذهبي قد ذهب وانقضى . ففي عام ١٨٨٨م أخرج كتابه " عامان في اجازة " وبطل هذا الكتاب فتى مراهق مغامر يدعى بريان . لم يكن نموذجه الحقيقي غير أريستيد بريان الذي التقاه عام ١٨٧٨ م . والواقع أن جول فيرن قد أعجب بهذا الفتى الذي لم يكن يجاوز عامه السادس عشر فجعل منه بطل روايته وهو لا يشك أبداً في أن يصبح لهذا الفتى مستقبل سياسي واعد كبير.

ومن بين مؤلفاته الأخيرة يمكن أن نسمي " راسا على عقب " عام ١٨٨٩ م ، " قصر كاربات " عام ١٨٩٢، " وجها لوجه أمام العلم " عام ١٨٩٦ م ، " أورينوك الرائع " عام ١٨٨٩ م " مأساة في ليفونيا " عام ١٩٠٤ م ، وفي عام ١٩٠٥ م " ظهر كتاب " غزو البحار " بعد وفاة جول فيرن ببضعة أشهر. لقد لفظ أنفاسه الأخيرة في اميان على أثر أزمة سكري في ٢٥ أذار " مارس " عام ١٩٠٥ م .

****

قذائفه نحو القمر قذفت من فلوريدا .

كان إنتاجه من الغزارة بحيث أن مجموعة مؤلفاته قد طبعت بعد وفاته على التتابع في فترة امتدت حتى عام ١٩١٩ م ، وكان آخر ما طبع منها " المغامرة المدهشة لمهمة بارسال ". وقيل " مدهشة " لأن جول فيرن تخيل في هذا الكتاب القذائف العسكرية الموجهة عن بعد .

هذا الكتاب يدعو من جديد العودة إلى الجدل القديم : هل كان جول فيرن صاحب رؤية مستقبلية عبقرية أم لا؟ الواقع أن هذا التفاؤل قد وضعت له اجابات متعددة فيما بعد . بعض رواياته من مثل : " الرحلة نحو مركز الأرض " ينبع من الخيال المحض أكثر منه انطلاقا من العلم . وكذلك رواية :" هيكتور سافارداك " . ولكن مقابل ذلك يواجهنا عدد كبير من الروايات التي لا تزال تدهش الناس حتى اليوم بسبب من التزامها العلمي أو من قدرتها على الايحاء بفضل الفروض العلمية الواردة فيها .

إنّ القطار الطائر نحو القمر في بعض رواياته يثير فينا الابتسام ولا سيما حين نتصفح الصور الواردة فيها بريشة ريو أو الفونس دو نوفيل في مجموعة هيتزل . ولكن أليس من المدهش أن يذكر المؤلف بأن هذا القطار قد تم اطلاقه من فلوريدا تماما كما فعلت مؤسسة الناسا عن بعد ؟ أو أن يكون المنطاد الموجه الذي يتحدث عنه في بعض كتاباته صورة مسبقة لطائرات الهيلوكبتر ؟

ومما هو أكثر تعبيرا عن روحه العلمي أن روايته غير المعروفة كثيرا والتي نشرت بعد وفاته بعنوان :" يوم من أيام صحفي أميركي عام ٢٨٨٩ م قد تخيل فيها مدنا مزدمة بالسكان الذين يبلغ عددهم عشرة ملايين ، عامرة بشوارع عرضها لا يقل عن مائة متر ، وبنايات ترتفع إلى علو ثلاثمائة متر ، ومناخ ذي حرارة معتدلة ثابتة ، وفضاء مزدحم بالمراكب الطائرة . والمراكب هذه تنطلق بسرعة ٦٠٠ كيلو متر في الساعة . كما تتحدث الرواية عن الصور التي تطلقها أجهزة خاصة عبر الفضاء ، وعن قنابل خانقة ثم عن الحرب الجرثومية .

ولعل غلطته الوحيدة أنه عين لظهور هذه الانجازات القرن التاسع والعشرين الميلادي . وفي هذا التاريخ يرى أن الانسان لا يوفق إلى وضع قدميه على سطح القمر ورؤية الجانب المظلم منه .

فالعالم كما يتبين اليوم قد سبق خيال جون فيرن كما نعلم . المهم أن جول فيرن قد جاوز واقع عصره وأسهم في تكوين وعي جماعي عند الملايين من أفراد الأجيال الطالعة . فهناك مستكشفون ، ليسوا من الأقل شأناً ، كالدكتور

شاركو والأميرال بيرد ذكرا أن موهبتهما قد ولدت على أثر قرائهما لمؤلفات جول فيرن . والثابت أنه هو شخصيا كان نتاج عصره ، عصر متفائل يدفع الرجال إلى اقتحام الصعاب من قبل فرديناند دوليسبس أوغوستاف ايفل ممن كانوا جديرين بتوسيع ابعاد الممكن.

لقد كان جول فيرن يعمل في عالم الخيال لكن لولا مخيلته الخصبة وبما لم يكن عالمنا اليوم على الصورة التي نعرفها له.